

دراسة وصفية تشخيصية لمدينة تنس الإسلامية "قلعة الحاكم أنموذجا".

A descriptive diagnostic study of the Islamic city of Tennis "Al-Hakim's Castle as a model "

سباطي مراد^{1*}؛ بوزيان مريم².

¹ - المركز الجامعي الشريف بوشوشة؛ آفلو (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: m.sebati@cu-aflou.edu.dz

² - معهد الآثار؛ جامعة الجزائر 2 (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: bouzianemერიem2525@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/03/27؛ تاريخ القبول: 2024/05/31؛ تاريخ النشر: 2024/06/15.

الملخص:

تعتبر قلعة الحاكم من الشواهد الأثرية لمدينة تنس الأثرية، وهي من المدن التي احتفظت بعدة مكونات عمرانية تعود إلى الفترات الإسلامية، تلك الشواهد الخالدة التي تركتها وتعاقت لفترات متتالية من الزمن، وتعتبر أيضا من الشواهد التي تترجمها بصدق مختلف المعالم والآثار المادية، وتعدد العناصر المعمارية يعكس مدى تطور المدينة في جميع جوانبها، بالإضافة إلى التنوع في الأساليب الفنية خاصة الزخرفية ومواد البناء.

تعرض هذه الأبراج التاريخية التي تضم عصاراة التراث المعماري العسكري إلى شتى أنواع التلف الطبيعي والعامل البيولوجي (نباتات،

حيوانات)، وصنوف التجاوز البشري في عالم ينعدم فيه الوعي الثقافي، وتتزايد الحاجة إلى إيجاد منافذ لامتنعاص أزمة السكن، مما أدى إلى فقدان حلقة أثرية من حلقات التاريخ المادية الأثرية لمدينة تنس خاصة والمدن الأثرية عامة، وهنا يصبح التفكير في المحافظة على التراث مسألة بالغة الأهمية، فالمساعي في مثل هذه الحالة تشتد وتقوى للوصول إلى الحلول الكفيلة بالحفاظ على طابع المدينة وهويتها وأصالتها.

الكلمات المفتاحية: قلعة الحاكم؛ واد علالة؛ برج الغولة؛ القلعة؛ أبراج.

Abstract:

The governor's castle is one of the archaeological evidence of the ancient city of Tenes. It is one of the cities that retained several architectural urban components dating back to the Islamic periods. Those timeless evidences left by Islamic civilization, which have been followed for successive periods of time. It is also one of the evidences that is faithfully translated by various monuments, materials and the multiplicity of architectural elements which reflects the extent of the development of the city in all its aspects. This diversity has been accompanied by another in artistic styles, especially decorative and building materials.

These historic towers, which include the military architectural heritage, are exposed to various types of natural damage and biological factor (plants, animals). And the kinds of human transgression in a world where cultural awareness is lacking and there is an increasing need to find outlets to absorb the housing crisis which led to the loss of an archaeological circle of the history material of the city of Tenes in particular and the archaeological cities in general. And that's where thinking about preserving heritage becomes a critical issue. So, efforts in such a situation are intensified and strengthened to reach solutions in order to maintain the city's character, identity and authenticity.

Keywords: Governor's Castle; Allala Valley; El Ghoul Tower; The Castle; Towers.

مقدمة:

تحتل مدينة تنس موقعا هاما على الضفة الجنوبية للمتوسط، حيث جعلها موقعها الاستراتيجي محط أنظار العديد من الشعوب التي مرت على المنطقة عبر العصور، فالمنطقة ساحلية ولها امتداد للمناطق الداخلية، هذا الاستيطان الذي عايشته البلدة خلف فيها آثارا بارزة تؤرخ للتواجد الإنساني والحضاري.

تعتبر مدينة تنس الأثرية من المدن التي احتفظت بعدة مكونات عمرانية تعود إلى الفترات الإسلامية، وهذا الاختلاف العمراني وهذا التعدد يعكس مدى تطور المدينة في جميع جوانبها، وقد صاحب هذا التنوع تنوع آخر في الأساليب ومواد البناء، وهذا ما توضحه طبيعة النشاطات الحضرية والعمرانية التي لا تزال شاهدة عليها، كما تعد أيضا سجلا تاريخيا حيا إذ يقدم الباحثين في تاريخ المنطقة معطيات أولية يلمسها أمامه ويدرك مدى قيمتها الفنية والعمرانية، إلا أنها لم تلق الاهتمام اللازم، الذي يكفل لها البقاء بخصوصياتها الأصلية وجراء تعرضها لعوامل التلف.

بما أن الحروب والصراعات سواء الداخلية أو الخارجية ميزة اتسمت بها جل الدول والحضارات بهدف ضمان بقائها ونشر نفوذها، كان واجبا على شعوب هذه الدول اختراع وسائل دفاعية، تمثلت هذه الأخيرة في العمارة العسكرية ومن مكوناتها سور المدينة الدفاعي والأبراج حيث توظف من أجل المراقبة الداخلية والخارجية للمدينة. من بين مواقع الأبراج المهمة لمدينة تنس موقع أبراج قلعة الحاكم أو كما يطلق عليه موقع برج الغولة.

تعرض هذه الأبراج التاريخية التي تضم عسارة التراث المعماري العسكري إلى شتى أنواع التلف الطبيعي وصنوف التجاوز البشري في عالم ينعدم فيه الوعي الثقافى وتتزايد الحاجة إلى إيجاد منافذ لامتصاص أزمة السكن، لذلك يصبح التفكير في المحافظة على التراث مسألة بالغة الأهمية، فالمساعي في مثل هذه الحالة تشتت وتقوى للوصول إلى الحلول الكفيلة بالحفاظ على طابع المدينة وهويتها وأجوائها.

1- العناصر المعمارية للمدينة:

خصت هذه الدراسة بالعمارة الدفاعية المتمثلة في أبراج الأبواب، حيث تتمثل أبراج المداخل الستة، تتوزع خمس منها في السور المحيط بالمدينة والسادس في القلعة الحاكم (برج الغولة).

وتمثل هذه المداخل الواسطة التي تربط بين عالم المدينة الداخلي والخارجي، فإن مدينة تنس احتوت على خمسة أبواب ذكرها البكري في كتابه: "...، ولها بابان في القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب الخوخة شرقي يخرج منه إلى عين تعرف بعين عبد السلام ثرة عبدة." (البكري، 1857، ص: 62)، وتعد كثرة الأبواب نقطة إيجابية لصالح المدينة وقاطنيها لتسهيل من حركية المدينة واستعمال الباب الأقرب للسكان.

فمثلا في مدينة التنس يجلب الماء من النهر بواسطة باب القبلة لوجوده على حافة وادي علالة وماء الشرب من عين عبد السلام انطلاقا من باب الخوخة والخروج من الميناء من باب البحر وهكذا (اسماعيل، 2006، 2007، ص: 221).

يتناول هذا البحث الدراسة الوصفية الأثرية والتشخيصية للوضعية الراهنة بالنسبة لمعلم برج باب البحر وموقع قلعة الحاكم. وقبل تناول

هذه الأخيرة سوف نتطرق إلى المفاهيم الخاصة ببعض العناصر المعمارية المشتركة بين برج باب البحر وبرج الغولة هي البرج والباب المؤديين لوظيفتين مختلفتين ولكن بمهارة المعماري المسلم استطاع جمعهما في معلم واحد لتأدية الغرضين وبذلك:

أ. البرج:

ويقصد بالبرج في المصطلح الأثري المعماري بناء مرتفع في سور المدينة أو القلعة أو الحصن وقد يبنى البرج في المدن الساحلية على الشاطئ للدفاع عن المدينة المزاحمة له (عاصم، 2000، ص: 34).

ب. الباب أو المدخل:

جاء تعريفه في المصطلح الأثري المعماري بأن الباب الخارجي أو الداخلي، الرئيسي أو الفرعي هو الفتحة القائمة في سور المدينة أو الحصن، مما يفلق عليه من مصراع أو مصراعين أو أكثر وقد تكون هاته الأخيرة بسيطة متواضعة من خشب عادي بغير زخارف أو غير ذلك (عاصم، 2000، ص: 23)، كما تعتبر الأبواب من ملحقات سور المدينة.

ج. السقف:

عرفت القبة على أنها بناء مستدير مقوس مجوف يعقد بالآجر ونحوه مقعر من الداخل مقبب من الخارج، يحتوي على حنايا ركنية أو مثلثات كروية لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثلث ثم إلى الدائرة (عاصم، 2000، ص: 222).

استعملت القباب كعناصر للتسقيف في العمارة الدينية والمدنية والعسكرية متخذة أشكالاً نصف دائرية، أو كروية، أو مخروطية، أو بصلية، أو المضلعة.

د. قلعة الحاكم:

انطلاقا من عملية المسح الأثري للموقع يتضح أنه يحتوي على مجموعة من المعالم والدلائل الأثرية، وعناصر وأجزاء ملحقة بهذه القلعة. وعن طريق التحري الميداني تم تحديد الموقع وبعض الدلائل المهمة، والمؤشرات الأثرية الخاصة بقلعة الحاكم أو ما يعرف ببرج الغولة وجمع معلومات حولها.

واعتمدنا على منهج التحري السطحي بحثا عن أدلة تثبت وجود بقايا أثرية مدفونة لاستخلاص نتائج علمية من خلالها.

2- الدراسة التشخيصية (التحري الميداني) لموقع قلعة الحاكم:

بما أن الحاجة أم الاختراع طبقت هذه المقولة على جميع نواحي الحياة، وبما أن الحروب والصراعات سواء الداخلية أو الخارجية ميزة اتسمت بها جل الدول والحضارات بهدف ضمان بقائها ونشر نفوذها، كان لزاما على شعوب هذه الدول اختراع وسائل دفاعية، تمثلت هذه الأخيرة في العمارة العسكرية، ومن مكونات سور المدينة الدفاعي كما سبق ذكره الأبراج حيث توظف من أجل المراقبة الداخلية والخارجية للمدينة، ومن بين مواقع الأبراج المهمة لمدينة تنس موقع أبراج قلعة الحاكم أو كما يطلق عليه موقع برج الغولة والذي نحن بصدد دراسته. ينفرد الموقع بوجود أربعة أبراج متسلسلة أفقيا وعلى استقامة واحدة، تبعد عن بعضها البعض بمسافات مختلفة، حيث المسافة بين البرج الكبير أو برج الغولة عن البرج الأول ب 14م، والبرج الأول عن الثاني ب 12.5م، والثاني عن الثالث ب 13م. وهي مسافات متقاربة، وتقدر مساحة الأبراج الثلاث ب 3م كل ضلع، وسمك الجدران 1.5م، وهي على الامتداد الجنوبي الشرقي لسور المدينة. كما توجد بقايا الأسوار تربط

بين هذه الأبراج وهي تشكل بمجملها جزءا من قصر الحاكم.(أنظر المخطط رقم 1).

يقع موقع قصر الحاكم في مكان ذو حماية طبيعية لوجوده في حيز بارز عن موقع المدينة ككل. يرتفع هذا الموقع حوالي 83م عن سطح البحر، مما يساعد على مراقبة كل الحركات وامتداد الرؤية داخل وخارج المدينة من أغلب جنباتها(أنظر الصورة رقم 1).

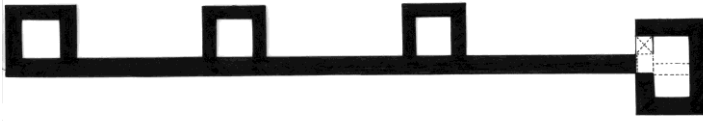


↓ الأبراج الثلاثة

← برج الغولة

الصورة 1: الأبراج الأربعة لموقع قلعة الحاكم.

المصدر: من اعداد الباحث.



1

مخطط 1: رفع أثري لأبراج موقع قلعة الحاكم.

المصدر: من إنجاز الباحث.

ومن خلال المعاينة الميدانية للموقع استنتجنا وجود قسمين داخلي وخارجي للقلعة من خلال الدلائل المعمارية والبقايا الإنشائية، مع وجود خزانات مائية تحت أرضية منتشرة في أماكن متفرقة.

أ. القسم الخارجي المكشوف:

حدد هذا القسم من خلال السور المندثرة معالمه والبارزة فوق سطح الأرض ولم يبقى منه إلا الشيء القليل مع الأسس الملتصقة مع وادي علالة ويحتوي هذا القسم على دلائل أثرية تمثلت في:

- بقايا أساس السور من الجهتين الجنوبية والشرقية على حافة وادي علالة (أنظر الصورة رقم 2).

- بقايا الأبراج الأربعة المتسلسلة المرتبطة بسور فيما بينها وهذه الأبراج تشكل حدوداً مع هذا القسم والقسم الداخلي (أنظر الصورة رقم 3).

- خزانات مخصصة لتجميع المياه تمت ملاحظتهم من خلال فتحات سقفيهما حيث يقع الأول في موضع ملاصق لحافة وادي علالة، وفتحته الكبيرة سمحت بالدخول إليه وأخذ مقاساته وتشخيص حالته (أنظر الصورة رقم 4). أما الثاني فيقع في موقع ملاصق للسور والأبراج وضيق فتحته لم تسمح بالدخول إليه. يعتبر الخزان الأول واحد من سلسلة صهاريج متواجدة خارج الأسوار مدينة تنس القديمة وبالضبط خارج برج الغولة الموجود جنوب شرق مدينة التنس القديمة. وهو عبارة عن صهريج مائي ذو شكل مستطيل مقاساته 11.20م × 2.60م وارتفاعه 2.50م موجه شرق غرب.

وأهم ما يميز هذا الصهريج سمك جدرانه الذي بلغ 1.5م وقد يرجع هذا السمك إلى سببين:

الأول: موقع الخزان الواقع على حافة المنحدر وبالتالي حماية الخزان من الانزلاق.

الثاني: فيتمثل في مقاومة ضغط المياه المجمعة داخله.

وسقف الصهريج أسطواناني قطره 2.52م به فتحتين الأولى في الجهة الغربية كبيرة نوعا ما يعتقد أنها كانت تستعمل لاستخراج الماء من الصهريج، أما الفتحة الثانية توجد في الجهة الشرقية وهي صغيرة ولكنها أغلقت في وقت لاحق، وقد تم تحديد ثلاث صهاريج اثنان منها موجودة في الجهة الشرقية للصهريج الأول، واحد منها انهار سقفه مما أدى إلى إحداث فجوة كبيرة بالأرض، أما الثالث فيوجد غرب الصهريج الأول ويمكن رؤية جداره الجنوبي من المنحدر.



الصورة 2: أسس جدران قلعة الحاكم على حافة وادي علالة
المصدر: من تصوير الباحث.



الصورة 3: بقايا أحد الأسوار الرابطة للأبراج
المصدر: من تصوير الباحث.



الصورة 4: أحد الخزانات المائية تحت أرضية الموقع

المصدر: من تصوير الباحث.

ب. القسم الداخلي:

يتمثل في المساحة المبنية التي تلي الأسوار والأبراج إلى داخل المدينة، وتشكل الحد الفاصل بين القسم الأول المتمثل في السور والأبراج الأربعة، والقسم الثاني المتمثل في القسم المركزي للقصر. أما عن مدخل القلعة فيتمثل في البرج الكبير أو ما يطلق عليه برج الغولة، وهو الهيكل المعماري الوحيد الذي يرتبط بمداخل المدينة، مستطيل الشكل مقاساته 3م×5م وسمك جدرانه 1.5م ويتم الدخول إليه من باب يقع في جهته الشرقية، ومنه إلى الحيز الداخلي للبرج وعلى نفس الجدار الذي يقع فيه المدخل يوجد باب آخر يسمح بالخروج إلى المساحة المكشوفة الملحقة بالقلعة، ويفصل البابين عن بعضهما البعض السور الذي قسمت به القلعة إلى قسمين.

ويمكن القول بأن برج الغولة يشبه إلى حد كبير برج باب البحر، حيث أن الأول متشكل من قسمين سفلي مغطى يدخل إليه عن طريق

الباب ومعظم معالمه اندثرت ويتم الخروج منه عن طريق الباب الثاني إلى الساحة المكشوفة الملحقة بالقلعة، وقسم علوي مكشوف يحتوي على برج المراقبة ومتصل بممشى السور (أنظر الصورة 5).



الصورة 5: بقايا برج الغولة.

المصدر: من تصوير الباحث.

أما عن مواد وتقنيات البناء الغالبة على ما تبقى من آثار هذه القلعة وأجزاءها الثلاثة، فقد استعملت تقنية الطابية وتحتوي هذه التقنية حسب الملاحظة على خليط من التراب كمادة سائدة، الحجارة الصغيرة، قطع من القرميد والآجر، بقايا الأواني الفخارية، كتل من الجير، قطع خشبية غير متساوية (أنظر الصورة 6 و 7)، في حين أن البرجين الأوسطين أضيفت الحجارة في البرج الشرقي حيث استخدم الدبش لبناء السور الشرقي من البرج حتى الوصول إلى السطح المستوي، ثم استخدمت تقنية الطابية كبقية الأبراج كونه يقع على حافة الوادي (أنظر الصورة 8).



الصورة 6: مواد وتقنية الطابية.

المصدر: من تصوير الباحث.



الصورة 7: تقنية الطابية باستعمال الآجر.

المصدر: من تصوير الباحث.



الصورة 8:

استعمال الدبش

لبناء سور أحد

الأبراج على حافة

وادي علالة.

المصدر: من تصوير

الباحث

أما البرج الكبير (برج الغولة) فقد استعملت نفس التقنية ومواد البناء السابقة الذكر مع وجود قطع من الآجر كصفوف تخلل الأسوار من موضع إلى آخر، وهو عبارة عن مادة سهلة التفتت والكسر قبل الحرق تتمثل في طينة معالجة تحكم جيدا أثناء عجنها وتجفيفها لتصبح بعد ذلك مادة صلبة ومتماسكة (زغلول، 1986، ص: 227). وقطع من الأخشاب أو في بعض الأحيان آثارها فقط في وسط الجدران، فهو ذو نسيج صلب مكون من ألياف وخلايا تحتوي في جوفها على مادة عضوية ومعدنية وكمية من الماء، يتكون في الأساس من الكربون والهيدوجين والأكسجين (Olivier, 1976, p. 17) (أنظر الصورة 9).



الصورة 9: استعمال
مادة الآجر في بناء
مدخل برج الغول.
المصدر: من تصوير
الباحث.

فيما يخص الصهريج الذي سبق ذكره، فقد تم بناء سوريه الغربي والشمالي والسقف والحجارة المشدودة إلى بعضها البعض بملاط، إضافة إلى طبقة سميكة من خليط التراب المدكوك والجير من أجل زيادة متانة وصلابة السقف، أمّا عن تكسية جدرانه الداخلية استعملت طبقة سميكة وملساء من الملاط (أنظر الصورتين 10 و11).



الصورة 10:
مدخل الصهريج
(الخزان)
المصدر: من
تصوير الباحث.



مخطط 2: رفع أثري لخزان مائي تحت أرضي.
المصدر: من إنجاز الباحث.



الصورة 11:
الصهريج
المصدر: من
تصوير الباحث.

3- حالة الحفظ:

إن حالة حفظ الأبراج سيئة جدا بسبب الإهمال وانعدام العناية مما أدى إلى اندثار وتلاشي معظم أجزائها، أما برج الغولة فأسواره على وشك الانهيار، والجزء المائل منه مشقق ومتآكل وأكثره تهدم في الجهة

الشرقية التي تحتوي على البابين مما أدى إلى طمس الباب (أنظر الصورة 12).



المصدر الصورة 12: اندثار وتلاشي أجزاء معلم برج الغولة.

المصدر: من تصوير الباحث.

بينما حالة حفظ الصهريج مقبولة عموما رغم آثار الحرق والكتابات على جدرانه من الداخل، وظهور تشققات على مستوى الجدار الجنوبي وبالضبط عند الزاوية الشرقية مما يشكل تهديدا كبيرا له، إضافة إلى انزلاق التربة عند المنحدر (أنظر الصورة 13).



الصورة 13: حالة

الحفظ للصهريج.

المصدر: من

تصوير الباحث.

خاتمة:

مدينة تنس الأثرية من المدن التي احتفظت بعدة مكونات عمرانية تعود إلى الفترات الإسلامية، وقلعة الحاكم التي يعتبر من أهم المعالم الأثرية المعمارية العسكرية في مدينة تنس تزخر بعدة مميزات فنية وعمرانية وخاصة الزخرفة الموجودة على أبواب ومداخل المدينة التي مازالت شاهدة إلى يومنا هذا، رغم ما أصابها من تلف وتدهور بسبب اجتماع عدة ظروف وعوامل ساهمت في تدهور واندثار المخلفات الأثرية للمدينة.

وكما جاء في المقال في الصور المرفقة تعدد العناصر المعمارية العسكرية الفنية، وهذا التعدد يعكس مدى تطور المدينة في جميع جوانبها، وقد صاحب هذا التنوع تنوع آخر في أساليب ومواد البناء، وكما لاحظنا أيضا تدخل عدة عوامل ساهمت في تلف كثير من معالمها كسلوك الإنسان اللامبالي بثروته التاريخية والأثرية، وبتزايد الأضرار على هذا المعلم ربما مصيره الزوال، وهذا لا شك يؤدي إلى فقدان لبنة أثرية من لبنات التاريخ المادي الأثري لمدينة تنس خاصة والمدن الأثرية عامة، وتبقى ضرورة مضاعفة الجهود لحفظ وصيانة وإنقاذ ما تبقى منه خدمة للتاريخ والأجيال القادمة مطروحة بقوة أكثر من أي وقت مضى.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- البكري أبو عبيدة الله. (1857). كتاب المسالك والممالك.
- 2- بن نعمان اسماعيل. (2006، 2007). مدينة التنس دراسة تاريخية أثرية وعمرانية (13. 3هـ- 19. 9م)، (أطروحة دكتوراه). معهد الآثار، الجزائر: جامعة الجزائر.
- 3- زغلول، ع. ا. (1986). العمارة والفنون في دولة الإسلام. مصر: دار المعارف بالإسكندرية.

4- عاصم، م. ر. (2000). معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية. مكتبة

مدبولي.

5-(F) Olivier, (. (1976). *technologie materieaux de construction*, Paris.

.....